

الوافي في الوفيات

عبد الله بن إسحاق أبو محمد بن التبان الفقيه المالكي عالم أهل القيروان في زمانه . قال القاضي عياض : ضربت إليه آباط الإبل من الأمصار لذبه عن مذهب أهل المدينة . وكان حافظاً بعيداً من التصنع والرياء . توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .

عبد الله بن أسعد .

ابن الدهان عبد الله بن أسعد بن عيسى بن علي بن الدهان الجزري الموصلّي ويعرف بالحمصي . مهذب الدين الفقيه الشافعي الأديب الشاعر أبو الفرج مات بحمص سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . دخل يوماً على نور الدين بن زنكي فقال له : كيف أصبحت ؟ فقال : كما لا يريدك الله ولا رسوله ولا أنت ولا أنا ولا ابن عصفور ! .

فقال له : كيف ؟ فقال : لأن الله تعالى يريد مني الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة ولست كذلك وأما رسوله فإنه يريد مني ما يريد الله مني ولست كذلك وأما أنت فإنك تريد مني أن لا أسألك شيئاً من الدنيا ولست كذلك وأما أنا فإنني أريد لنفسي أن أكون أسعد الناس وملك الدنيا بأجمعها ولي بالدنيا بأسرها ولست كذلك وأما ابن عصفور فإنه يريد مني أن أكون مقطوعاً إرباً إرباً ولست كذلك ! .

فكيف يكون من أصبح لا كما يريد الله ولا رسوله ولا سلطانه ولا نفسه ولا صديقه ولا عدوه ! . فضحك منه وأمر له بصلة . تقلبت به الأحوال وتولي التدريس بحمص فل هذا نسب إليها . وكان لما ضاقت به الحال عزم على قصد الصالح بن رزيق وزير مصر وعجز عن استصحاب زوجته فكتب إلى الشريف أبي عبد الله زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني نقيب العلويين بالموصل هذه الأبيات : من البسيط .

وذات شجوة أسأل البين عبرتها ... باتت تؤمل بالتفنيد إمساكي .
لجت فلما رأته لا أصيخ لها ... بكت فأقبح قلبي جفنها الباكي .
قالت وقد رأت الأجمال محدجة ... والبين قد جمع المشكو والشاكي .
من لي إذا غبت في ذا المحل قلت لها ... وابن عبيد الله مولاي .
لا تجزعي بانحباس الغيث عنك فقد ... سألت نوء الثريا جود مغناك .

فتكفل الشريف المذكور لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدة غيبته عنها . قال العماد الكاتب : ولما وصل السلطان صلاح الدين إلى حمص وخيم بظاهرها خرج إلينا أبو الفرج المذكور فقدمته للسلطان وقلت له : هذا الذي يقول في قصيدته الكافية في ابن رزيق : من البسيط . أأمدح الترك أبغي الفضل عندهم ... والشعر ما زال عند الترك متروكا .

فأعطاه السلطان شيئاً وقال : حتى لا يقول : إنه متروك عند الترك ! .
ثم إنه أمتدح السلطان بقصيدته العينية التي يقول فيها : من الكامل .
قل للبخيلة بالسلام تورعاً ... كيف استبحت دمي ولم تتورعي .
وزعمت أن تصلي بعامٍ قابلٍ ... هيهات أن أبقى إلى أن ترجعي .
أبدية الحسن التي في وجهها ... دون الوجوه عنايةٌ للمبدع .
ما كان ضرك لو غمرت بحاجبٍ ... يوم التفرق أو أشرت بإصبع .
وتيقني أنني بحبك مغرمٌ ... ثم اصغي ما شئت بي أن تصنعي .
ومن شعر ابن الدهان : من الكامل .
تردي الكتاب كتبه فإذا انبرت ... لم تدر أنفذ أسطراً أم عسكراً .
لم يحسن الإتراب فوق سطورها ... إلا لأن الجيش يعقد عثيراً .
ومنه : من الكامل .
يضحي بجانبه العدا ... ويبيت وهو إلى الصباح نديم .
ويمر بي يخشي الرقيب فلفظه ... شتمٌ وغنج لحاظه تسليم .
ومنه في غلامٍ لسعة نحلةٌ في شفته : من الرمل .
بأبي من لسبته نحلةٌ ... آلمت أكرم شيءٍ وأجل .
أثرت لسبتها في شفةٍ ... ما يراها إلا للقبل .
حسبت أن بفيه بيتها ... إذا رأت ريقته مثل العسل .
ومن شعر ابن الدهان : من البسيط .
كأن مقلته صادٌ وحاجبه ... نونٌ وموضع تقبيلي له ميم .
فصرت أعشق منه في الورى صنماً ... وعاشق الصنم الإنسي محروم .
ومنه أيضاً : من البسيط .
مولاي لا بت في ضري ولا سهري ... ولا لقيت الذي ألقى من الفكر .
باتت لوعدك عيني وهي ساهرةٌ ... والليل حي الدياجي ميت السحر